بالقطر. ركّزتُ عينيّ على شفتيه تنفرجان أنتظر القبلة المشتهاة فإذا بهما تتحرّكان بدلا من ذلك بكلام فظيع موحش أعادني على الفور إلى حالة الانكماش:

– يا فتّاح يا عليم.. بدأنا بالنكد من اللحظة الأولى.. الله الله..

هكذا قال، وأولاني ظهره من جديد ليشعل لفافة تبغ جعل يعبّ منها أنفاسا نهمة، ثمّ ينفثها بهدوء مستفزّ حلقات من دخان متراكبة في الهواء. لا أعرف كيف طلع الصباح ولم تسِل روحي مع ما أهرقتُه من دموع. ولعلّ شخيره الذي يوقظ الموتى منعني تلك الليلة أن أموت. تجنّبني طوال الشهر الموالي لليلة الدخلة كما تُتجنّب العنز الجرباء، حتّى حسبت أوّل الأمر أنّه عاجز ضعيف العصا. لكنّي ألفيتُه يتعمّد مرّة بعد مرّة أن يستولد لذّته بيده أمامي، فلم أر في آلته ما يعيب. ولعلّه كان يقصد بصنيعه ذاك إلى إثارتي ليسهل عليه بلوغ مأربه الوسخ منّي.

أستغفر الله وتائبة لله. يشهد الله أنّي لا أحبّ أن أحدّثك في مثل هذا يا سيدي محرز. ولكنّي، وإن لم أدخل المدرسة إلا قليلا، أعرف ما قال ربّي وما قال النبيّ. أليس قد قالا لا حياء في الدّين؟ ثمّ أ ليس يقال لمن تزوّج أنّه أكمل نصف دينه؟ فالحديث في أمور الزواج هو إذن حديث في الدّين لا يُستحى منه. بلى بلى، لست غبيّة لأصدّق ما يقوله لي سي امحمّد، وأعرف هذه الأشياء. أعرف أيضا أنّ الله، إن أمر النساء بطاعة الرجال، فقد أمر الرجال بأن يناموا مع النساء من موضع العفّة الطيّب الذي حلّله الشرع، وحرّم –أستغفر الله– أن يأتوهنّ من الجهة النجسة.